روح الإيثار وروح التضحية والنهوض بالأعمال في وقتها

المكان: مدينة كرمانشاه

الزمان: 1390/7/21ش. 1432/11/15هـ. 2011/10/13م.

المناسبة: زيارة الإمام الخامنئي لمحافظة كرمانشاه

الحضور: جموع غفيرة من أُسَر الشهداء والمضحّين في محافظة كرمانشاه

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

أحمد الله العلي القدير لما وفّقني إليه اليوم من المشاركة في هذا المجلس الذي يتّسم بالعظمة المعنوية. في زياراتي التفقدية إلى المدن المختلفة، تمثل اللقاءات مع الأُسَر الكريمة للشهداء والمضحّين والمعاقين، بالنسبة إليّ واحدة من أهم اللقاءات وأعظمها. وسبب ذلك أن قضية التضحية تنطوي على عظمة لا تستطيع أيّة أمّة لو لا وجود مثل هذه النقطة المهمّة والمصيرية، أن تصل إلى العزّ والمجد. نحن عادة نرى ونشاهد جوانب ضيّقة من قضية الشهادة والشهداء ومن تضحيات المضحين والمعاقين؛ في حين أنّ عملية وحركة التضحية في المجتمع، التي تنتهي إلى الشهادة أو إلى الإصابة والإعاقة، ذات معانٍ واسعة، وذات جوانب مختلفة، وكلّ واحد منها خليق بالبحث والنظر. وأحد هذه الجوانب هو اغتنام الفرصة والاستجابة لمتطلبات اللحظة. قد يكون هناك شعور بالمسؤولية لدى آخرين، إلا أنّهم في لحظة الحاجة لا يشخّصون هذه المسؤولية ولا يعملون بها. وهذا يختلف اختلافاً شاسعاً عن ذلك الموقف والفعل الذي يأتي في لحظة الحاجة إليه تماماً. إنّ الشبان الشجعان الغيارى المؤمنين المضحّين الذين استشعروا حاجة البلد وداهموا الخطر وبادروا إلى مواجهة الخطر، هؤلاء يتميّزون بصفة بارزة هي أنّهم أدركوا الحاجة في الوقت المناسب واستجابوا لها. وهذا جانب في غاية الأهمية ويمثّل بالنسبة إلينا درساً يُعتدّ به.

بالأمس أشرت إلى أن شباب كرمانشاه شعروا بعد شهر من انتصار الثورة أن الحاجة تستدعي منهم التوجّه إلى حيث ينبغي أن يكونوا؛ فتوجّه الشهيد سيّد محمّد سعيد جعفري – ذلك الشهيد

المقدام السَبّاق ــ مع ثلّة من رفاقه للدفاع عن معسكر فرقة سنندج. لقد أدركوا ما الذي يعنيه هذا الدفاع، وما الذي تعنيه سيطرة أعداء الثورة على معسكر للجيش. إنّ هــذه الســرعة في الإدراك، وإدراك الأُمور في الوقت المناسب، والمبادرة إلى الفعل في الوقت المناسب، والاستجابة للحاجة. هذه قضية مهمّة لا ينبغي إغفالها.

إن شهداءنا الكرام في كلّ أنحاء البلاد يتّصفون بهذه الخصائص. لقد ذكر الإخوة أسماء مــدن، واستعرضوا ذكريات لمناطق المقاومة في هذه المحافظة. ومن المعروف طبعاً أن من استشهدوا هنــا كانوا قد قدموا من كل أنحاء البلاد. شهداء معروفون وبارزون كانوا قد وفدوا من مناطق أُخرى وتضرجوا بدمائهم على هذه الأرض، غير أن دور أهالي هذه المحافظة، والشُبان المــؤمنين، ودور ذلك الشعور العظيم والثمين والنادر الذي كان لدى هؤلاء الشباب ــ وهو وعيهم، وإدراكهم للظروف، واغتنامهم للفرصة ــ ينبغي أن لا يُغفل عنه؛ وهذا هو ما نحتاج إليه على الدوام.

إن الدول والشعوب غالباً ما تتلقى الضربات الموجعة من عدم تقديرها للظروف وعدم اغتنامها للفرص. فحين ينصب لنا العدو كميناً ولكنّنا لا نعلم أنّه قد كمن لنا، أو إذا علمنا ذلــك ولا نعالج الموقف بسرعة ولا في الوقت المناسب. عند ذلك نكون قد تلقينا الضربة.

قال أحد الإخوان الأعزاء جملة تثير الاعجاب، قال إنّ الأُسَرَ كانت تقول: إنّنا إن لم نبعث هذا المقاتل خارج الدار؛ فسيأتي العدو غداً عند الدار وعندها ينبغي أن نحارب على مقربة من الدار. هذه قضية في غاية الأهمية؛ هذه هي الحالة التي قال فيها أمير المؤمنين عليه: فإنّه ما غُزي قوم في عقر دارهم إلا ذلّوا؛ أي إذا هاجمهم العدو وتغافلوا عنه فسيهزمون وتكون الغلبة عليهم. يُفترض أن يُرصد العدو عن بُعد، وأن يُعرف عن بُعد. كانت تلك غفلة ممّن كان ينبغي أن يَروا العــدو يومذاك ولكنّهم لم يَروه. في طهران كانت الأخبار تصل وكان يُقال إنّ العدو يواصل استعداداته العسكرية على حدود منطقة كرمانشاه وعلى حدود منطقة إيلام ــ إذ كانت الأحداث أكثر ما تجري في هذه المناطق – وعندما كانت هذه الأُمور والأخبار تنعكس في طهران، كان الساســة المتصدّون لزمام الأُمور ينكرون ذلك ويقولون إن هذه الأخبار غير صحيحة. إلى أن قُصِــفَت طهران. إنّ الحرب لم تبدأ في الواقع بتاريخ الحادي والثلاثين من شهريور سنة **1358** [الثــاني والعشرين من شهر أيلول عام **1980**م]، بل إنّها كانت قد بدأت قبل ذلك. ولو أنّ أولئــك المسؤولين الذين كانوا على رأس السلطة يومذاك ــ والذين أثبتوا في ما بعد عدم أهليتهم لإدارة

شؤون البلاد ــ كانوا يدركون الأُمور ويميّزونها، ورفعوا من درجة تأهبهم واستعدادهم، لما كان يحل بمدينة خرّمشهر ما حلَّ بها، ولما كان يقع لقصر شيرين ما وقع لها، ولما حصل لسائر المناطق الحدودية ما حصل.

لقد أدّت تلك الغفلة الأولى إلى أن يخيّم على هذه المنطقة وعلى منطقة خوزستان، بالنحو الذي شاهدته عن كثب خلال برهة وجيزة، جو كئيب بحيث انني لا أستطيع نسيان بعض مشاهده التي رأيتها عن قرب. حين يكون زمام الأُمور بيد الشعب، وحين يكون المجال مفتوحاً للاستعدادات الشعبية وللتواجد الشعبي في الساحة من أجل دخول المعترك، لا تحصل مثل هذه الغفلة، وهذا ممّا كانوا لا يسمحون به يومذاك. في هذه المناطق التفت الجماعات الشعبية حول بعضها هنا وهناك، وكانوا يبذلون مشقّة كبيرة للحصول على الأسلحة. وأخذوا يدافعون عن أنفسهم. غير أن المسؤولين هناك كانوا ساخطين، وكانوا في الاجتماعات الرسمية يعبّرون عن تذمّرهم واستيائهم ويقولون لماذا يجمع الشخص الفلاني الأسلحة من هنا وهناك في الموضع الفلاني. لقد كانت هناك مجموعة من الشبان الذين يدافعون عن البلد. ولهذا لم يكونوا قادرين على تحمّل ذلك الوضع. وهذا يمثّل بالنسبة لنا درساً.

بالأمس قلت إن نظاماً كنظام الجمهورية الإسلامية، بما يحمله من مثل وبما لديه من تطلّعات وبما يدعو إليه من أهداف كبرى ــ كمناهضته للظلم، وعدائه للاستكبار، وعدائه للغطرسة المتمادية للقوى الدولية ــ يواجه تحديات بأشكال مختلفة وأنماط شتّى. وهذا ما يفرض عليه بأن يكون على أهبّة الاستعداد. وهذا الاستعداد يستند إلى إيمان الشعب قبل أيّ شيء آخر. هذا السند الداعم، وهذا الحارس الأعظم في الدفاع عن هوية شعب وعزّة أمّة، والساعي لإنقاذ شعب من كيد الأعداء، هو وعي الشعب. وهذا ما جرّبناه أثناء الحرب. واليوم أيضاً، حيثما تنبّه المسؤولون عن وعي وأعطوا للشعب دوراً في مجال من المجالات، يحصل مثل هذا تماماً.

الجمهورية الإسلامية نظام سيادة الشعب، ونظام الديمقراطية الإسلامية. وهذه الديمقراطية يجب أن تكون ذات معنى، ويجب أن يكون معناها حقيقياً، لا مجاملة. لقد أدّى الشهداء، والمعاقون، والأسرى الأحرار، وأُسَرهم أفضل اختبار على هذا الطريق. وهذا الصبر الهائل الذي أبدته أُسَر الشهداء، له قيمة كبرى. ولو أنّ هذه الأُسَر أبدت جزعها، أو عبّرت عن نوع من عدم الإدراك أو فقدان البصيرة، لكانت جذوة الجهاد قد خَبَت، ولما بقيت هناك قلوب توّاقة إلى التضحية

والفداء. لقد أبدت هذه الأُسَر صبرها. ومضت على زمان الدفاع المقدّس سنوات متمادية، إلا أن باب الشهادة لم يُغلق؛ إذ لا زلنا نرى عوائل تُفجع بأعزّة ينفتح لها باب الشهادة لمناسبات شتّى فيمدّون أجنحتهم في الآفاق ويحلّقون. وإذا اجتمعت هذه البصيرة وهذا الصبر في شعب فلا ريب في أن ذلك الشعب سيرتقي قمم المجد.

لم يراودنا قط أي تردّد في تشخيص أهدافنا وتعيين الطريق المؤدّي إلى هذه الأهداف؛ وما شككنا في صواب طريقنا. ونحن نشكر الله على هذا. ولم يُفرغ الله قلوبنا أبداً من نور الأمل. ولمسنا في الواقع أن تلك الآمال لم تكن آمالاً خاوية؛ وإنّما كانت آمالاً صائبة وسليمة.

يوماً ما كان هناك من الناس حين ينظرون إلى الأفق لا يرون أي بصيص من الأمل على مرمى البصر؛ غير أن ذوي البصيرة ــ وعلى رأسهم إمامنا الخميني الكبير ــ كانوا يلهموننا الأمل والبشرى. كنا أحياناً نصغي تعبّداً، ولم تكن لدينا القدرة على تحليل الأُمور. وكنّا نتقبّل كلامهم من باب التعبّد، غير أننا كنا في ما بعد نرى أن الأُمور تسير وفقاً لما قال. حيث كنا نجد أن ذلك الأمل الإلهي، وتلك البشارة السماوية تتحقّق على أرض الواقع. ونحن اليوم حين ننظر إلى تجربة الثورة الإسلامية على مدى اثنتين وثلاثين سنة نلاحظ النجاحات المتوالية التي أحرزها نظام الجمهورية الإسلامية.

في اللقاءات التي تجمعني بالأُسَر الموقّرة للشهداء والمعاقين الأعزاء والمضحّين، أجعل الموضع الأوّل لاهتمامي ــ من بعد التكريم والاحترام وتقديم أسمى معاني الشكر والتقدير إلى هذه الأُسَر الكريمة، هو لفت انتباه عموم أبناء شعبنا إلى أنّ روح التضحية تمثّل عنصر الانقاذ لأي بلد وعنصر النجاة لأي شعب. إنّ روح الإيثار وروح التضحية، ومعرفة وقت أداء الواجب، والنهوض بالأعمال في وقتها وفي الظرف المناسب، هو ما ينقذ الشعب.

ممّا يدعو إلى الارتياح إنّنا اليوم نشاهد معطيات التقدّم والنجاح في بلدنا. حيث نجد أنّنا نتقدّم، ومن الطبيعي أن هذا يتطلّب بذل الجهد، والمثابرة في العمل. فالأُمور تسير صوب الدقّة والتعقيد. ودرجة الوعي لدى أبناء شعبنا اليوم أعلى بمرّات مما كانت عليه في السنين الماضية. يوجد والحمد لله في مجتمعنا أُناس كثيرون مؤمنون، من ذوي العزم الراسخ والالتزام والتمسّك بالمبادئ. وهكذا الحال أيضاً في هذه المحافظة الغرّاء. إنّ ما رأيناه في هذه المحافظة، وما سمعناه كان كلّه يعبّر عن

معاني الرجولة والشهامة والشجاعة والمروءة ــ ومثلما ذكرت بالأمس ــ فإنّه يعبّر عن صفات البطولة الحميدة لدى الرجال والنساء.

أشار من تحدّثوا إلى أن امرأة في گيلان غرب أسرت أحد جنود الأعداء؛ إن ما قامت به هــذه المرأة المؤمنة الشجاعة يعكس واحدة من أمثلة الشجاعة الكثيرة التي لا يُستطاع إحصــاؤها في هذه المحافظة. منذ البداية تشكّلت هنا قوى شعبية وقوى من حرس الثورة وقدّمت التضحيات إلى جانب قوى الجيش المقاتلة. كان هنا ضباط شجعان وذوو كفاءة؛ وأخص بالذكر منهم الشهيد شيرودي قائد طيران الجيش، والآخرين الذين اغتنموا ما وفّره لهم من دعم وإمكانات وقــاموا بتلك الطلعات المثيرة للإعجاب؛ سواء في الفرقة **81**، أم في غيرها من الميادين الأخرى. وقــد رأينا نحن عن قرب بعض أولئك الضباط الشجعان والمؤمنين في هذا المعسكر الذي ذكروه، وهو معسكر أبي ذر. إذ أنّهم كانوا يعملون بإخلاص وتفانٍ لتغطية أجواء هذه المنطقة، وهذا من معالم الإخلاص والتضحية، والإقدام والبطولة والفداء، الذي يمثّل جزءاً من مناقب محافظتكم، وسيبقى ذخراً لكم. فأنتم قد اتخذتم مرتبة الصدارة على جبين صفحة الدفاع المقدّس. إنّ أمجاد الــدفاع المقدّس يعود الكثير منها إلى هذه المحافظة؛ فأنتم قد ساندتم، وبذلتم، وأسأل الله العلي القدير أن يثيبكم على ذلك بالأجر والجزاء المعنوي، مثلما حباكم بالأجر الدنيوي أنتم وكل أبناء الشعب الإيراني، وهو عزّ البلد ومجده.

لقد كانت هذه الجولة جذابة ومحبّبة إلى أنفسنا؛ لأجل لقاء هؤلاء الناس الأعــزاء ووجــوههم المستبشرة الضاحكة، حيث كان الناظر بالأمس يشاهد على هذا الطريق الآلاف من الوجــوه المسرورة الباسمة. وهذا ممّا يعكس الوجه النضر لهذه المحافظة. نأمل بإذن الله العلــي القــدير أن يتمكّن المسؤولون من النهوض بالأعمال الضرورية التي ينبغي إنجازها في هذه المحافظة، وهناك إن شاء الله أعمال كثيرة يجب أن تُنجز فيها. فهذه المحافظة ذات نعم وفيرة كما أنّها أيضاً تعاني من نواقص. وهذه النواقص ينبغي متابعتها بمشيئة الله بفضل جهود المسؤولين ومثابرتهم.

والسّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.